

التفسير المطول - سورة الأنعام 006 - الدرس(53-73): تفسير الآيات 128 - 129، شياطين الإنس والجن

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 03-03-2006

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات .

أيها الإخوة الكرام، مع الدرس الثالث والخمسين من دروس سورة الأنعام، ومع الآية الثامنة والعشرين بعد المئة، وهي قوله تعالى :

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (128) وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (129)

### يوم الحشر

أيها الإخوة الكرام، هناك حدث سيكون يوم القيامة تشير إليه كلمة: ﴿وَيَوْمَ﴾ يعني في هذا اليوم في يوم الدينونة، في يوم تسوية الحسابات، في يوم الجزاء، في يوم الحساب.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾ أي يجمعهم، هؤلاء الناس الذين بغوا، وطغوا، وظلموا، واستعلوا، واستكبروا، وأخذوا ما ليس لهم، وبنوا مجدهم على أنقاض الآخرين، وبنوا ثروتهم على إفقار الآخرين، وبنوا وجودهم على إزهاق أرواح الآخرين، هؤلاء حسابهم عسير.

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42)

سورة إبراهيم

لَا يَعْزُبُكَ تَقَلُّبُ الدِّينِ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَبُنُسَ الْمِهَادِ (197)

سورة آل عمران

سيدنا عمر بن عبد العزيز كلما دخل إلى مكان عمله يتلو هذه الآية :

أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ (206) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا  
يُمَتَّعُونَ (207)

سورة الشعراء

هذا الذي أمر بهدم سبعين ألف بيت بغزة، في ثانية واحدة انتهى، كان في قبضة الله في ثانية واحدة، فلذلك: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾

إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)

سورة الغاشية

هل تريد أن أنبتك من هو المنتصر الحقيقي؟ وقد يكون بمقاييس البشر منهزماً، هو الذي يموت موحداً، ويموت طائعاً لله عز وجل، ولو قُتل مظلوماً .

فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185)

سورة آل عمران

وأفضل ألف مرة أن تكون في العناية المشددة، شدة، وضيق، وحرَج، من أن تُهمل في الدنيا، ثم تُحاسب في الآخرة، الله عز وجل يعجب من هؤلاء الذين يقترفون الكبائر ويقول الله عنهم :

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اسْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۖ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (175)

سورة البقرة

كيف يصبرون؟

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ ليس هناك تجمعات .

وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ

تَسْتَكْبِرُونَ (48)

سورة الأعراف

في الدنيا هناك تجمعات، دولة عظمى تعندي، والدول العظمى الأخرى تخاف منها فتناصرها، ولا تعباً بالحق إطلاقاً، هناك تجمعات في الدنيا، أما في الآخرة :

وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ

شُفَعَاءَكُمْ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ ۖ لَقَدْ نَقَطَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (94)

سورة الأنعام

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾.

يا معشر الجنِّ قد استكثرتم من الإنس

﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ﴾ أيها الإخوة، كلمة معشر أي أناسٌ اجتمعوا في مكان واحد، في حرفة واحدة من قوم معينين، تعايشوا، اجتمعوا وتعايشوا ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ﴾ لذلك جميع المخلوقات مُسَيَّرَةٌ إلا الإنس والجن صنفان مَخِيرَانِ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ لأن رئيس الشياطين إبليس اللعين قال :

**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82)**

سورة ص

يعني أراد إغواء البشر، وقال :

**قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (36)**

سورة الحجر

فذلك هذا الشيطان الرجيم إبليس اللعين يريد أعواناً من الإنس ليكونوا أدواته في إضلال البشر، لذلك قال الله عز وجل في معرض الحديث عن الشياطين:

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ  
عُرُورًا ۗ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۗ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112)

سورة الأنعام

ولماذا قدّم شياطين الإنس؟ لأن أذاهم أكبر، هو منك، من بني جنسك، إنسان يحدثك، تحدثه، يقتنعك، تقتنعه، شيطان الإنس أخطر من شيطان الجن، فالشيطان يحتاج إلى معاونين من الإنس، وكلمة كثر معاونون ازدادت قوة الشيطان وهيمنته .

لكن بالمناسبة أيها الإخوة، لا بد من التوضيح؛ لو أن عمل الشيطان سلبياً قطعاً لما سمح الله له، لكن الشيطان دون أن يريد، ودون أن يشعر يوظف الله شره للخير المطلق.

**أوضح مثل:** يلقي الشيطان في روع الإنسان أن الله من خلقه؟ فهذا الشاب المؤمن يأتيه هذا الوسواس ينخلع قلبه، يتألم أشد الألم، يذهب إلى العلماء، يلتزم بمجالس العلم، يطلب العلم إلى أن يصبح مؤمناً قوياً، من الذي كان سبب قوته؟ الشيطان، من دون أن يشعر، ومن دون أن يريد، تماماً كهذه الصور التي رُسمت، ماذا فعلت؟ نَبّهتنا إلى محبّتنا لهذا النبي الكريم، أيقظت فينا محبته، أيقظت فينا الانتماء إليه، رجعنا إلى السيرة، والله الذي لا إله إلا هو ولا أبلغ، سوف يدخل في دين الله مئات الألوف بل الملايين في المستقبل بسبب هذه الصور.

دائماً وأبداً كل شيء وقع إرادته الله، بمعنى سمح به، وكل شيء إرادته الله وقع، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق، ولكل واقع حكمة، وقد يكون الموقّع مجرماً، لكن ما دام الذي وقع قد وقع فهناك حكمة لا يعلمها إلا الله .

فالشيطان يريد أن يُضِلَّ الإنسان، لكن في أحيان كثيرة يريد أن يضلَّه فيهدتي، يريد أن يضلَّه فيُلجِّئه إلى مجالس العلم، يريد أن يضلَّه فيحمله على التوبة، من دون أن يشعر ومن دون أن يريد، لذلك:

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ طبعاً هناك من الجن من هو مؤمن، الحديث اليوم لا عن الجن المؤمنين، بل عن الجن الكافرين.

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ بشكل عام الاستكثار: مجاوزة الحد، هناك إنسان يستكثر من المال، مع أن حاجته إليه لا تزيد عن واحد بالمليون من حجم ثروته، يقاتل من أجل الدرهم والدينار، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل، وغاب عنه أن الكسب شيء، وأن الرزق شيء آخر، الكسب ما كُتِبَ باسمك من أموال منقولة وغير منقولة، أما الرزق فهو الذي انتفعت به فقط، الطعام الذي تأكله، الثياب التي ترتديها، البيت الذي تسكنه، الزوجة التي تعيش معها هذا رزقك، وهذا الرزق الذي أكلته فني، والذي لبسته بلي، ليس لابن آدم إلا ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو تصدَّق فأبقى.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ أَنَّهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَقْرَأُ: أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1) قَالَ: يَقُولُ ابْنُ آدَمَ:

مَالِي! مَالِي! وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَوْ لَبِستَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ

فَأَمْضَيْتَ؟!!

رواه مسلم

الذي هو لك وانتفعت به ثلثه الذي يبقى يوم القيامة، وما سوى ذلك فهو من المستهلكات، أما الكسب يعني حجمك المالي، رصيدك، أموالك المنقولة وغير المنقولة، هذه تُحاسب عليها حساباً شديداً من أين اكتسبتها؟ مع أنك لم تنتفع بها لذلك: خذ من الدنيا ما شئت، وخذ بقدرِها هَمًا.

**ومن أخذ منها فوق ما يكفيه أخذ من حنفة وهو لا يشعر**

رواه الديلمي عن أنس رضي الله عنه وهو ضعيف

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (15)

سورة الملك

سمعت عن شخص عاش في بلد الحرمين 35 سنة ما صلَّى فرض صلاة، ولا حجَّ ولا اعتمر، وهو في اكتمال الرجولة في الـ55، في بلد جميل جداً في أوربا يمضي إجازته احتشى قلبه، فمات في غرفته في الفندق، وترك أكثر من أربع مليارات ليرة، في ثانية، فالإنسان يكون في قبضة الله في ثانية، قد يكون قوياً، في ثانية، قد يكون غنياً، في ثانية، فالذي يقول: أنا، لا يعرف الله ﴿قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾.

بالمناسبة اعتقدوا اعتقاداً جازماً أن أحداً لا يمكن أن يُضِلَّ أحداً، لكن المُضِلَّ يستطيع أن يُضِلَّ الضال، أي يرغب في الضلالة، فيأتي هذا الشيطان فيقنعه بفساد معين فيفعله، الكلام سيأتي بعد قليل :

### وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ

﴿وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ الجن أرادوا أن تكون لهم الغلبة على الإنسان، فاستكثروا من أعوانهم، وأجروا على يدهم بعض الخوارق من أجل إضلال البشر، وشعروا أن هؤلاء الذين هم أعوانهم خاضعون لهم، تَبَعَ لهم، فاستعلوا، أضلوا واستعلوا، وأما الإنسان شهواتهم كلها الدنيئة والخسيسية حققوا بإطار ديني، وهذا ما يفعله إخوان الشياطين الموبقات، والخمر، والزنا، يفعلونه باسم إنسان يريد أن يُخرج منك الشيطان، ويبتز أموال الناس بالباطل، وقد ينتهك أعراضهم، والقصاص لا تعد ولا تحصى، كما أن الجن استكثروا من الإنسان أكثروا أعوانهم، وأعوانهم أضلوا البشر، فشعروا بالقوة، والهيمنة، والسيطرة، حققوا شهوة الأنا، والإنس استطاعوا أن يحققوا شهواتهم متوهمين أن هذا له إطار ديني .

﴿وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ يعني هناك منافع مشتركة، الإنسي أُعطي شيء من بعض الخوارق، والجن استعلى، وحقق هدفه من الإضلال، والإنسي الضال ازداد ضلالاً. أيها الإخوة الكرام، حتى الإنسان، أصل التدين أن تشعر بحاجة إلى قوي يحميك، هذا أصل التدين، حتى الديانات الأرضية الوثنية تحقق هذا الهدف، الإنسان خُلِقَ ضعيفاً، وخُلِقَ عجولاً .

إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً(19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً(20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً(21) إِلَّا

### الْمُصَلِّينَ(22)

سورة المعارج

فالإنسان عنده ضعف في أصل خلقه، هذا الضعف لصالحه، لو أن الله خلقه قوياً لاستغنى بقوته فشقي باستغنائاه، خلقه ضعيفاً ليفتقر في ضعفه فيسعد بافتقاره.

إذًا: الإنسان يحتاج إلى جهة قوية يعتمد عليها، يلجأ لها، يتوكل عليها، يستمد منها، هذه حاجة فطرية، وهذه الحاجة هي أصل التدين، والحاجة إلى الدين كحاجتك إلى الهواء، لكن بين المسلم وبين غير المسلم أن المسلم وصل إلى الإله الحقيقي، إلى الخالق الحقيقي، إلى المُسَيَّر، إلى الرب، إلى القدير، إلى العليم، إلى الغني، إلى الرحيم، إلى العدل، بينما غير المسلم توهم الألوهية في شمس، أو في قمر، أو في حجر، أو في مدر، أو في بقرة، أو في أشياء لا تعد ولا تحصى، قدسها، وأسبغ عليها القدسية، والتجأ إليها واحتمى بها متوهماً .

فلذلك أيها الإخوة، حتى الإنسي حينما يستعين بالجن يشعر بأنه مع قوي، لأن الجني عنده إمكانات لا يملكها الإنسان، حينما قال الله عز وجل :

يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطْعْتُمْ أَنْ تَتَفَدُّوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُدُوا ۚ لَا تَتَفَدُّونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (3)

سورة الرحمن

لماذا بدأ الله بالجن؟ لأنه أقدر على قطع المسافات الشاسعة من الإنس، إذاً الجن عندهم قدرات واسعة جداً، الإنس استعانوا بهم، فاستعانوا بهم، فشعروا أنهم مع الأقوياء، وحققوا شهواتهم في إطار ديني، أكثر الذين يتعاملون مع الشياطين لا يصلون إطلاقاً، يحققون شهواتهم بأقذر طريقة، هم استمتعوا، الإنس استمتع، والجن استعلى، الجن حقق هدفه واستعلى، والإنس استمتع ﴿اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾.

أيها الإخوة، لا تعجب من هؤلاء الذين يعتنقون ديانات وثنية، هم يحققون حاجة فطرية بشرية. والله كنت مرة في لوس أنجلوس، وقد أخذني صديق إلى معبد لديانة في شرق آسيا، البناء يزيد عن عشرة ملايين دولار في كلفته، الأصنام هناك من البرونز الخالص، وصدر الصنم من أعلى أنواع الماس، البرلنت، ورأيت أناساً يسجدون أمام الأصنام منبطحين على بطونهم، ويحملون أعلى الشهادات، الإنسان ضعيف.

لكن أيها الإخوة، حينما يقع الإنسان في ضيق شديد ينسى الشياطين، ويذكر الله عز وجل:  
وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (12)

سورة يونس

يعني هؤلاء الذين يعبدون من دون الله آلهة عند الشدة الشديدة ينسون هذه الآلهة، ويلجؤون إلى الله، وصدقوا أن طائفة كانت تُقلَّ خبراء من بلد ملحد، قديماً، تهاوى من الداخل، دخلت الطائرة في سحابة مكهربة، وكانت على وشك السقوط، فما كان من هؤلاء الخبراء الملحدون إلا أن قالوا: يا الله .  
ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23) انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ۚ  
وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24)

سورة الأنعام

الإنسان في الدنيا يكذب على نفسه، يتوهم شيئاً غير صحيح، لذلك :  
﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ شيء آخر، ثمة ذنب لا يُغفر، هو الشرك، وذنب لا يُترك: كان بينك وبين العباد، وذنب يُغفر: ما كان بينك وبين الله، لذلك قال تعالى :

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا  
عَظِيمًا(48)

سورة النساء

يعني أن هناك علاقة سبب بنتيجة، أنك إذا أشركت لا سمح الله ولا قدر هذا الشرك يحملك على إثم كبير، الآية :

﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْنَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ﴾ يعني يعيش الإنسان عمراً يحقق فيه هدفه.

﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۖ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ  
مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ (37)

سور فاطر

﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا

﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ وما من إنسان بريء والشيطان أضله، هذه حقيقة، ما من إنسان بريء كلياً والشيطان نقله إلى الكفر، هو كافر كفراً مبطناً، فجاء الشيطان، وحرك كفره بالضبط.

إن طالباً بمدرسة في صف فيه خمسون طالباً، لا يستطيع هذا الطالب الفاسد إلا إفساد طالب يريد الفساد، لكن الذي لا يريد الفساد ممتنع عنه .

﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (42)

سورة الحجر

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَفَى الْجَمْعَانَ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (155)

سورة آل عمران

حينما يعصي الإنسان الله يضعف مركزه عند الله، فيستزله الشيطان ﴿قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا﴾

معنى : خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ هذه قضية خلافية تحتاج إلى شرح، يقول الله عز وجل في آية أخرى :  
﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ (106) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ  
وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ (107)

سورة هود

لذلك قال العلماء: وعيد الله يقع أو لا يقع، أي أنّ الله عز وجل يضع إنسان في النار ملايين السنين، ثم لحكمة بالغة بالغة يُخرجه منها، ورد في بعض الأحاديث أن الإنسان يخرج من النار إذا كان في قلبه متقال ذرة من خير:

**يخرج من النار من في قلبه متقال ذرة من إيمان، وفي بعضها متقال ذرة من خير**

مجموع الفتاوى عن ابن تيمية

ولا يخلد في النار إلا من شرد عن الله شروداً البعير.

أما القسم الثاني :

**وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ (108)**

سورة هود

وبآيات كثيرة :

**لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (48)**

سورة الحجر

فماذا تعني هذه الآية؟ مع أهل النار القضية سهلة، وعيد الله يُحقّق، أو يعفو، ولحكمة بالغة، لكن الجنة هذا وعد غير الوعيد، الوعد مُحَقَّق قطعاً، فكيف لا يُحقّق؟ هذا الكلام فيه إشارة إلى طلاقة الإرادة الإلهية، كيف؟

وجدت بيتاً أعجبك البيت، وثمانه خمسة ملايين، والثمان غالٍ، وصاحب البيت قبض الثمن بالتمام والكمال عدّاً ونقداً، ووقع لك العقد، هل له فضل عليك؟ أبدأ، أخذ حقه كاملاً، وما باع البيت إلا بعد أن أيقن أن ثمنه خير منه، هذا عندنا قانون في البيع والشراء، ما من إنسان يبيع حاجة إلا وعنده شعور أن ثمنها أعلى منها، وما من إنسان يشتري حاجة إلا بإحساس أنها أثن من ثمنها.

أهل الجنة في الجنة، لو أنّ إنساناً وهبك بيتاً بخمسين مليوناً، وقال لك: لكن لا بد من أن تشتري مفتاحه، ومفتاحه ثمنه عشر ليرات، فإذا دفعت ثمن مفتاح البيت هل تشعر أن صاحب البيت الذي وهبك البيت تفضل عليك؟ أنت حينما اشتريت البيت بقيمته بالتمام والكمال عدّاً ونقداً لا تشعر لثانية أن الذي باعك البيت له فضل عليك، قبض ثمنه بالتمام والكمال، أما حينما يهبك الله الجنة بأعمال محدودة أعانك الله عليها في الدنيا، والجنة إلى أبد الأبد، أنت لم تدفع ثمن الجنة، لكن دفعت ثمن سببها، السبب هو المفتاح، يعني البيت بخمسين مليوناً، ودفعت عشر ليرات، صنعت مفتاحاً له، ودخلته، وأصبح ملكك، لذلك كلمة :

﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ لا يتوهم أهل الجنة أنهم دخلوها بثمنها، بأعمالهم، لا، دخلوها بفضل الله، ولكن ربما اقتسموها بأعمالهم، ادخلوا الجنة برحمتي، واقتسموها بأعمالكم، من هنا النبي عليه الصلاة والسلام أشار إلى هذا المعنى أننا ندخل الجنة برحمة الله، لا بأعمالنا .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :  
لَنْ يَدْخُلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ ، قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ

متفق عليه

فالجنة محض فضل، والنار محض عدل، وحينما يقول الله عز وجل :

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَبِالْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾: أي أنكم لم تملكوها بثمنها، بل تملكتموها بفضل الله لكم، أنتم دفعتم ثمن سببها، ثمن مفتاحها فقط، هذا معنى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُودٍ﴾ وتأكيداً للحقيقة الصارخة من أن الشيطان لا يُضل الإنسان.

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقَّ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي وَلَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (22)

سورة إبراهيم

الشيطان كفر حينما يدّعي من أضلهم أنه أضلهم .

يعني أوضح مثل ذكرته عشرات المرات: إنسان يرتدي ثياباً جميلة جداً، غالية جداً، فاقعة، فاتحة في الصيف، ونزل في حفرة فيها مياه سوداء آسنة، مياه المجاري، وانطلق إلى المخفر ليشتكي على إنسان، سأله المحقق: هل هو دفعك إلى هذه الحفرة ؟ قال له: لا والله، حرام ، قال له: هل أجبرك على أن تنزل بها؟ قال: لا ، قال له: هل شهّر عليك مسدساً، وأمرك أن تنزل بها ؟ قال: لا، فقال له: لماذا تشتكي عليه إذا ؟ قال: هو قال لي : انزل ، فنزلت !!!

﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقَّ وَوَعَدْتُمْ فَأَخْلَفْتُمْ﴾ دقق: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ مستحيل وألف ألف مستحيل أن يكون للشيطان علينا سلطان، لكن الشيطان لا يغوي إلا الضال، لا يغوي إلا المنحرف ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي وَلَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ لا أحد يضل أحداً، الشيطان يضل الضال، أو يضل من يرغب في الضلالة، بالضبط ، يضل من أراد أن يضل .

كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (16)

سورة الحشر

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْبَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْمِعْ بَعْضًا بَعْضًا وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَنَا لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾.

### وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ

في النهاية: ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ هذا كلام دقيق، أنت مخير، لو أن إنساناً مخيراً أراد أن يسرق، يسمح الله له أن يسرق، لكن لا على من يختاره هو، على من يختار الله له، الله ينسق .

الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۗ وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (3)

سورة النور

### المسلم بين إغواء شيطان الإنس وشيطان الجن

والسارق لا يسرق إلا ممن يستحق أن يسرق منه ماله، هذه حقيقة .  
﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ هناك ظالم، هناك فاجر، هناك طاغية، هناك مجرم يصب جرمه على إنسان، كي أكون دقيقاً معكم تماماً: تسليط هذا المجرم على هذا الإنسان يكون لحكمة بالغة، قد يكون ابتلاء، قد يكون رفع درجات، وقد يكون استحقاق عذاب، قد يكون عقاباً، لكن لحكمة بالغة الله يسمح للظالم أن يظلم من يُعد ظلم الظالم له حكمة بالغة.  
إذاً في الحياة المادية ليس هناك ظلم، الظلم في النفوس فقط، يعني خطة الله تستوعب خطة الكفار، والكافر يتوهم أنه مطلق، وقوي، ويقتل، ويبطش، ويهدم، ويستعلي، لكن خطة الله استوعبت خطته، فهو لا يفعل إلا ما يريد الله عز وجل، ولا يمكن للكافر أن يسبق الله، بمعنى أن يفعل شيئاً ما أَرَادَهُ اللهُ، أو أن ينفلت من عقاب الله .

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ (84)

سورة الزخرف

ونحن في أمس الحاجة إلى التوحيد، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، والآن نحن بحاجة إلى التوحيد كي نرتاح، الأمر بيد الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۗ وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ (2)

للتوضيح مرة ثانية: لو أن ظالماً أصاب بظلمه إنساناً فلا ينبغي أن نقول: هو يستحق، لا، قل: تسليط هذا الظالم على هذا الإنسان لحكمة بالغة، لحكمة أوسع من يستحق لحكمة بالغة، قد يكون استحقاقاً، وقد يكون رفع درجات، وقد يكون ابتلاء، لكن فيه حكمة، يعني قال الله عز وجل:

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255)

عنده في ملكه، معنى الآية دقيق جداً، لا يمكن لشيء في الكون أن يمس شيئاً في الكون إلا بإذن الله، وأوسع آية: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ﴾ في ملكه ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ يعني النار لا تحرق إلا إذا أذن الله، والأفعى لا تلدغ، والقنبلة لا تنفجر، والصاروخ لا يصيب إلا أن يأذن الله .

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

أيها الإخوة الكرام، الجن موجودون، وشياطين الإنس والجن يرتعون ويمرحون. أضربُ مثلاً أوضح مثل لفعل الشيطان، أنه يكره الزوج بزوجته، ويحبب الزوج بامرأة أخرى لا تحل له، زوجة صديقه، هذا هو الفساد، يقول لك أين الشيطان؟ الشيطان يجري في عروق بالناس .

أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّهُمْ أَزْأ (83)

إنّ الخيانات الزوجة، الشقاء الأسري، كراهية الزوجة، الملل من الزوجة، هذا من آثار فعل الشيطان، الشيطان له أكبر دور أن يزهّدك بزوجتك، وأن يحببك بأية امرأة قد تكون من حيث المستوى الجمالي 1% من زوجتك، والشيطان يحبب لك تلك المرأة، ويزهّدك بالتالي تحل لك.

أقول لكم كلاماً دقيقاً: علامة أنك على منهج الله ينبغي أن تحب زوجتك، هي حلالك، والله يرضى عنكما إذا كان هناك ود ومحبة، أما إذا كان هناك كراهية للزوجة، وملل وسقم وتجهم، وكلام قاس، وكل نعومة الزوج، ولطفه، ومرحه، وحديثه العذب مع امرأة لا تحل له، فهذا من فعل الشيطان، طبعاً هذا واحد من أفعاله .

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ۖ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۗ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ

إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ۚ  
وَلَيْئَسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102)

سورة البقرة

هذه الآية، الشيطان موجود يا إخوان، والإنسان أحياناً لا يشعر فيكون كلامه شيطانياً، ففي جلسة يتكلم الإنسان بالحق، بالقرآن بالسنة، أحد الجالسين لا يحلو له إلا أن يطعن في المتكلم، لأنه شعر بتأثير، هو عن غير وعي، وبعقله الباطن لأنه شعر بتأثير يأتي بشبهة ما أنزل الله بها من سلطان، الشيطان ينطق، الشيطان يتحرك، فذلك الشيطان موجود، وله أثر كبير.

هناك طرفة، لكن لها مغزى كبير، أن الشيطان التقى بطاغية، فقال له الطاغية: ماذا أفعل؟ أعطاه الشيطان حلاً للقضاء على خصومه، قال له: هذا فعلته، أعطاه حلاً ثانياً، فقال له: فعلته، حلاً ثالثاً، قال له: فعلته، رابعاً، خامساً، سادساً، سابعاً، ثامناً، تاسعاً، عاشراً، قال له: كلها فعلتها، قال له: انتهى ما عندي، بعدما سكت هذا الشيطان قال له: أنت ماذا تريد أن تفعل؟ قال له كذا وكذا، قال له أعوذ بالله حَفِ اللَّهُ يَا رَجُل .

لذلك قدم الله شياطين الإنس على شياطين الجن .

وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (46)

سورة إبراهيم

الإله يصف مكر الكافرين بأن الجبال تزول منه، الله عز وجل وصف كيد الكفار فقال: ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ لكن:

فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعَدِهِ رُسُلُهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (47)

سورة إبراهيم

إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12)

سورة البروج

إِنْ تَمَسَسْتُمْ حَسَنَةً تَسَوْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۗ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120)

سورة آل عمران

الكرة في ملعبنا .

إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ ۗ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۗ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدُ وَلَنْ نُعْجِبَ عَنْكُمْ فِئْتَكُمْ شَيْئاً ۗ وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (19)

سورة الأنفال

الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا  
أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى  
الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا (141)

سورة النساء

والحمد لله رب العالمين